حــوار عيسى-عليه السلام- مــع الله -عز وجل-
وأثره على المجتمع المعاصر

أ.م.د. عبدالله اسـود خلف
م. م. عيدان هليل ابراهيم

ملخص البحث

إنَّ موضوع الحوار من الموضوعات المهمة في بناء المجتمعات على أسس واضحة سليمة من التعصب المذموم، لذلك ركز عليه القرآن الكريم ووضع دعائم له تنميه وتطوره، ومن تلك الحوارات العديدة التي بينها القرآن الكريم حوار نبي الله عيسى-عليه السلام- مع ربه-عز وجل-، والذي جعلناه موضوع لبحثنا وتحت عنوان: **(حوار نبيّ الله عيسى-عليه السلام- مع الله- تبارك وتعالى- دراسة عقائدية)**، ليشعرنا بأنَّ الحوار هذا لم يأت به الله-عز وجل- إلا لفائدة عظيمة متجددة، مبينا ما اتبعه الأنبياء من أحكم الأساليب، وأنصع الأدلة وأقوى البراهين التي تقنع العقول، وتطهر القلوب، وخاصة في أمور العقيدة التي هي أساس سعادة البشرية، وبها ينجو الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة، ولا يخفى على موحد أنَّ منبع العقيدة الأصيل هو القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية.

لذلك فرضت عليَنا المادَّةُ العلميَّةُ أن يكون البحث مبنيٌّ على مُقَدِّمة، ومبحثين، تتلوهما خاتمة؛ ذكرت في **المبحث الأول:** تعريف العنوان ومفرداته، ثم جاء **المبحث الثاني:** ليركز على زبدة الموضوع وتحت عنوان: حوار عيسى- عليه السلام- مع الله-عز وجل- وأثره على المجتمع المعاصر.

IN THE NAME OF ALLAH MOST GRACIOUS MOST MERCIFUL

INTRODUCTION

As a matter of fact, dialogue is considered the way of convincing, key of hearts, the style of communicating and understanding, method to know each other and the method of invitation to Allah and the bath that lead to the right education and it is the sunnah of Allah in his creatures.

The glorious Quran comes to show the dialogue in a perfect way to take our attentions in order to get benefit from it and this is the reason that leads me to take the following topic to be my research project (The dialogue of the prophet Jesus with Allah the Almighty/ a doctrinal study). The dialogue has a great importance for humans because it can be the reason that leads them to the right bath and live a static life without problems.

The research has an introduction and two chapters that followed by an end for paving the way in front of the researchers to get benefit from. The first chapter tackles definitions of the topic such as dialogue definitions and aims and the definitions of the notion tradition. The second chapter shows the dialogue of the prophet Jesus with Allah and its impact on the modern society.

المُقَـدّمَـةُ

الحمد لله الذي شهدت بربوبيته وألوهيته الكائنات، وأشهد أنْ لا إلـه إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريك لـه، كلمـةٌ قامت بهـا الأرض والسماوات، وأشـهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ المؤيَّد بالآيات والمعجزات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ الحوار هو سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك التربية والتعليم، وسنة الله في خلقه.

ولقد جاء القرآن الكريم ليعرض الحوار بشكل مميز يسترعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول مجالاً واسعاً لاستنباط العبر والعظات، ومن تلك الحوارات العديدة التي بينها القرآن الكريم حوار نبي الله عيسى-عليه السلام- مع ربه-عز وجل-، والذي جعلناه موضوع بحثنا وتحت عنوان: **(حوار نبيّ الله عيسى-عليه السلام- مع الله- تبارك وتعالى- دراسة عقائدية)**، ليعطينا دروساً كثيرة، ويشعرنا بأنَّ الحوار هذا لم يأت به الله-عز وجل- إلا لفائدة عظيمة متجددة، مبينا ما اتبعه الأنبياء من أحكم الأساليب، وأنصع الأدلة وأقوى البراهين التي تقنع العقول، وتطهر القلوب، وخاصة في أمور العقيدة التي هي أساس سعادة البشرية، وبها ينجو الناس من الهلاك في الدنيا والآخرة، ولا يخفى على موحد أنَّ منبع العقيدة الأصيل هو القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية.

ومن هنا ندرك أهمية الحوار في حياة الناس، وندرك مدى عظم هذه الأمنية، أمنية أن تصبح الحوارات سبيل الناس في وصولهم إلى الحق، ووصول الحق إليهم.

ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لأمره، ومقاصد تكون خلاصة لسره، وتكميلات تكون نهاية لحاله، فقد فرضت عليَنا المادَّةُ العلميَّةُ أن يكون البحث مبنيٌّ على مُقَدّمة، ومبحثين، تتلوهما خاتمة؛ تقريباً للدارسين، وتوضيحاً للطالبين، لعلها تكون وافية بالمطلوب، محصلة للبُغية بعون علام الغيوب، وهو على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بالعنوان ومفرداته: ويشمل: (مفهوم الحوار وأهدافه، ومفهوم الأثر والمجتمع).

المبحث الثاني: حوار عيسى- عليه السلام- مع الله-عز وجل- وأثره على المجتمع المعاصر.

وأخيراً وليس آخراً، هذا جهدنا فإن بلغنا الصواب فمن الله-عز وجل-، وإن أخطأنا فمن نفسينا، والله الموفق لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول[١]

مفهوم الحوار والألفاظ ذات الصلة والعلاقة بينهما

المطلب الأول

مفهوم الحوار وأهدافه

الحوار في اللغة: مشتق من الحَوْر، وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحؤورا: رجع عنه وإليه، وكل شيء تغير من حال إلى حال، فقد حار يحور حورا، وأَصل الحَوْرِ الرجوع إلى النقص، وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام، والمُحاوَرَةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره، والمَحُورَةُ من المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُورَةِ من المُشاوَرَة، وإنه لضعيف الحَوْرِ أَي: المُحاوَرَةِ [٢].

أما الحوار في الاصطلاح فهو (مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي)[٣].

وفيما يخص أهداف الحوار فإنَّها لا تخرج عما يأتي:

١-**الدعوة:** أي دعوة الآخرين وإقناعهم، سواء دعوة الكفار إلى الإسلام، وهو هدف وغاية مطلوبة، أو دعوة المبتدعين إلى السنة، أو دعوة غيرهم إلى الحق، وأقل ما يتحقق من هذا الهدف هو إقامة الحجة على الخصم، وإبراء الذمة أمام الله-عَزَّ وجَلَّ- لذلك فإن الله-سبحانه وتعالى- قد ذكر الجدال بالتي هي أحسن في ضمن

---

(١) لم أتقيد بذكر بطاقة الكتاب عند ذكره أول مرة؛ تجنباً لإثقال الهامش، وابتعاداً عن التكرار، لذا اكتفيت بذكرها في ثبت المصادر والمراجع.

(٢) ينظر: لسان العرب، ٤/٢١٧-٢١٨.

(٣) الحوار وآدابه، ص٢.

وسائل الدعوة حيث قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

٢- **الوصـول إلـى الحـق:** ويعنـي تـرجيح أحـد الآراء المطروحـة، وتضـييق هـوة الخلافات، وليست المشكلة في وجود الخلاف، فإن وجوده أمر طبيعي كما قال-عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[2]، ولكن المشكلة في ما يؤدي إليه الخلاف من فرقة وتباغض وتناحر وتضارب، عندما يعجز المختلفون عن التفاهم بالمحاورة أو يغفلون عن ضرورة الالتقاء لتقريب وجهات النظر أو يقللون من قيمة الحوار، ويرون ألا فائدة منه أصلا، وهو خطأ يقع فيه كثير من المختصمين والمختلفين كما أنه لا يعتبر الحوار ناجحا إلا إذا انتهى أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر واتفقا على موقف واحد، وكذلك يعتبر الحوار ناجحا أيضاً إذا توصل الطرفان إلى أن كلا القولين صحيح وسائغ، أو هو في الإطار الذي يسعه الخلاف[3].

٣-**إقامة الحجة** : الغاية من الحوار إقامة الحجة وإظهار الأدلة التي تؤيد الحقَّ وتقرره.

٤- **كشف الشبهات والرد على الأباطيل،** لإظهار الحق وإزهاق الباطل، وتبديد ما عليه المشركون من أوهامٍ وضلالات، والتحذير من طرق الضلال، وكذلك فإن كثيرا من المختلفين يمنعهم من التسليم بالحق والرجوع إلى الصواب، شبهات وشكوك وأباطيل تحتاج إلى جواب وتفنيد وإبطال، والحوار يحقق هذا الهدف، فبه يمكن إزالة كل شبهه، وتفنيد كل باطل.

---

(١) سورة النحل، من الآية: ١٢٥ .

(٢) سورة هود، من الآيتان: ١١٨ – ١١٩ .

(٣) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٤٣-٤٤.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[١]-رحمه الله تعالى-: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع وقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس)[٢].

٥-**الحوار لون من ألوان الجهاد:** فعن انس-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: ((**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**))[٣]، والله-عَزَّ وجَلَّ- قد يدفع بالحجة واللسان ما لا يدفعه بالسنان، قال ابن حزم[٤]-رحمه الله-: (ولا غيظَ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب ابداً، فهي ادعى إلى الحق وانصر للدين من السلاح الشاكي، والأعداد الجمة)[٥] وهذا الواجب قد فرط فيه كثير من الدعاة والمصلحين.

---

(١) **ابن تيمية:** تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الدمشقي الحنبلي، ابن تيمية، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، رحل إلى مصر ثم سجن مدة فيها، وأطلق سراحه، ثم سافر إلى دمشق واعتقل بها واطلق، ثم أعيد إليها، وتوفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة: (٧٢٨هـ). ينظر: ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام،١/٢١-٢٧؛ والأعلام، ١/١٤٤.

(٢) درء التعارض بين العقل والنقل، ١/ ٢٠٧.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في نسخِ نفيرِ العامّة بالخاصّة، ٣/١٥٩، برقم: ٢٥٠٤، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح)؛ ومسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك-رضي الله عنه-، ١٩/٢٧٢، برقم: ١٢٢٤٦، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد-وهو ابن سلمة-فمن رجال مسلم)؛ المستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد، ٢/٩١، برقم: ٢٤٢٧، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي؛ مسند الدارمي، كتاب الجهاد، باب في جهاد المشركين باللسان واليد، ٣/١٥٧٧، برقم: ٢٤٧٥، قال محققه حسين سليم أسد: (إسناده صحيح).

(٤) **ابن حزم:** أبو محمد علي بن احمد بن سعيد، الأندلسي، الظاهري، إمام من أئمة الظاهرية، وعالم الأندلس في عصره وحافظها وفقيهها، ولد بقرطبة سنة:(٣٨٤ هـ)، وكان من بيت وزارة ورياسة، ووجاهة ومال وثروة، فزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف، أشهر مصنفاته: ((الفصل في الملل والأهواء والنحل))، وتوفي في بادية ليلة من بلاد الأندلس سنة:(٤٥٦ هـ). ينظر: البداية والنهاية، ١٢/٩١؛ الأعلام، ٤/٢٥٤.

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، ١/٢٥.

ويمكن القول إن الحوار الناجح لا يحقق أهدافه إلا إذا تعاون المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، والهدف الأصلي من الحوار هو إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة الفاسدة من القول والرأي، وبقية الأهداف المذكورة فرعية أو مُمهِّدة لهذا الهدف.

المطلب الثاني

مفهوم الأثر والمجتمع

الأثر في اللغة هو: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، والأثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثرا، وأثر السيف: ضربته، وأثر الجرح: أثره يبقى بعد ما يبرأ. وسنن النبي عليه الصلاة والسلام آثارُهُ، والآثارُ: الأَعْلامُ[١]. ويختلف تعريف الأثر عند أهل الاصطلاح تبعاً للمعنى المراد منه، فالأثر في اصطلاحه العام عرف بأنه: (ما ينشأ عن تأثير المؤثر)[٢]، وعرف أيضاً بأنه: (حصول ما يدل على وجود الشيء، والنتيجة، وأثرت الحديث: نقلته)[٣]. وعرفه الجرجاني[٤]- رحمه الله-: بقوله: (الأثر له ثلاثة معان: الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى

(١) ينظر: لسان العرب، ٤/٥-٩؛ مختار الصحاح، مادة(أثر)،ص١٣؛القاموس المحيط، باب الراء، فصل الهمزة، ص٣٤١.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ١/ ٢٧٩.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣٨.

(٤) الْجُرْجَاني: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، ولد سنة: (٧٤٠ هـ) في تاكو (قرب استراباد)، درس في شيراز، وفرَّ إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز فأقام بها إلى أن توفي (٨١٦ هـ)، له نحو خمسين مصنفا، منها: ((التعريفات)) و((شرح مواقف الإيجي)). ينظر: الأعلام، ٥/٧-٨.

الجزء)[١]. أما مصطلح المجتمع فقد ظهر حديثاً، ولم يكن هذا المصطلح معروفاً من قبل، لذا لم نجد في معجمات اللغة قديماً هذا اللفظ، كما لم نر في مصادر التراث تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا المصطلح.

وقد اختلف علماء الاجتماع في العصر الحديث في تحديد مفهوم المجتمع بالمعنى العام والخاص، والنماذج التي يصحّ إطلاق اسم المجتمع عليها، إلا أنهم وضعوا تعريفات عدة، منها:

المجتمع: (هو ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه، في هيئة وحدات، أو جماعات)[٢].

وقيل: (هو تلك الهيئة الإنسانية المكوّنة من أفراد تربط بينهم روابط عقيديّة ومصالح حيويّة محدّدة)[٣].

وعرفه آخرون بأنه: (مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محددة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد، والمقاييس والقيم، والأحكام الاجتماعية، والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين، واللغة، والتاريخ، والعنصر).

وعرفه آخرون بأنه: (جميع العلاقات بين الأفراد في حالة تفاعل مع منظمات وجمعيات لها أحكام وأسس معينة)[٤].

---

(١) التعريفات، ص٩.

(٢) دراسة المجتمع، ص٧.

(٣) دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، ص١٢.

(٤) بناء المجتمع الإسلامي، ص٨.

وقد اشترط بعض علماء الاجتماع أن تتوافر شروط في المجتمع الإنساني حتى يطلق عليه مجتمعاً، والشروط هي:

١-أفراد يعيشون معاً مدة طويلة.

٢-أرض بمساحة يقيمون عليها.

٣-نظم تحدد علاقاتهم الاجتماعية، وشعور جماعي بوحدتهم الاجتماعية(١).

وإذا كان هذا هو تعريف المجتمع بصورة عامّة، فإنّ المجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي تبنى فيه الروابط والعلاقات وتنظّم المصالح فيه على أساس الإسلام.

ولقد وضع بعض الباحثين المسلمين تعريفات للمجتمع المسلم ينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعدها، ونذكر من هذه التعريفات ما يأتي:

المجتمع المسلم هو (ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة وله خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة)(٢).

وعرفه آخرون بأنه: (خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام)(٣).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٩.

(٢) المجتمع الإسلامي، ص١٧.

(٣) الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، ص١٤.

من التعريفات أعلاها للمجتمع المسلم يتضح لنا أنه مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه من قبل، واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فليس من الضروري إذاً أن تكون هناك أرض معينة لهذا المجتمع، وليس من الضروري أن ينشأ أفراده معاً لمدة طويلة، وأهدافهم ومصالحهم ليست مشتركة، بل هي واحدة، وليس للعادات أو التقاليد، أو اللغة أو التاريخ، أو العنصر دخل في تكوين هذا المجتمع، بل إنه يقبل كل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد- ﷺ - نبياً[١].

والصلات التي تربط بين أفراد هذا المجتمع على تباعد الديار وتنائي الأوطان، هي صلات وثيقة محكمة، ويشعر بهذا الشعور واضحاً كل من استمسك بعقيدة المجتمع الإسلامي وذاق حلاوة الإيمان، وعرف معاني الأخوة الإسلامية، ولا يتنكر لهذه المعاني إلا أولئك الذين حرموا حلاوة الإيمان وفقدوا معاني العقيدة[٢].

(١) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، ص٩-١٠.

(٢) ينظر: المجتمع الإسلامي، ص١٩.

المبحث الثاني

حوار عيسى-عليه السلام- مع الله-عز وجل- وأثره على المجتمع المعاصر.

توطئة:

نبيُّ الله عيسى-عليه السلام- آخر أنبياء بني إسرائيل، أنزل الله عليه الإنجيل، وليس بينه وبين النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- نبي آخر، وهو من آل عمران، ومن نسل داود، ولد من غير اب، فهو كلمة الله القاها إلى مريم بنت عمران، اضطهده اليهود، وآذوه، وحاولوا قتله، دعا الإسرائيليين إلى دين موسى-عليه السلام-، وبشر برسالة محمد-صلى الله عليه وسلم- للعالمين من بعده، وهو أحد أولي العزم من الرسل، الذين أبلوا بلاء حسنا، وصبروا على ما كذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصر الله المبين(١).

ودعا قومه إلى الأيمان بالله-تعالى-، وبين لهم شرائع اختلفوا فيها، يقول الله-تعالى-: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٢)، ومع هذه الدعوى إلى الله-تعالى-: كان لا بد من معجزات تظهر تأييد الله-عز وجل- لرسوله بدعوته، وهذه المعجزات تتناسب مع أحوال كل قوم من الأقوام، والمعجزات المذكورة في القرآن الكريم عن المسيح-عليه السلام- هي: إبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتى، وتصوير الطين والنفخ فيه فيصبح حيا بإذن الله-سبحانه وتعالى-، والإخبار ببعض المغيبات التي أطلعه الله عليها، قال تعالى على لسان نبيه: ﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

(١) ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ١١٦/١٢.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٣ .

﴿ تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١)، والكلام في المهد، قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٢)، ومن معجزاته التي أخبرنا الله بها تلك المائدة التي أنزلها الله من السماء، عندما طلب الحواريون من عيسى-عليه السلام- إنزالها، وحول تلك المائدة جرى حوار بين الله-عز وجل- وبين عيسى-عليه السلام-، وهذا ما سأتكلم عليه في المطلب الأول.

المطلب الأول

مائدة بني إسرائيل.

من المعجزات التي آتاها الله-تعالى- رسوله عيسى-عليه السلام-، ما طلبه أتباعه الحواريون من إنزال مائدة من السماء، فذكر تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣)؛ قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآيات: هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة، فيقال سورة المائدة، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة وحجة قاطعة، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم، فقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾؛ وهم أتباع عيسى-عليه السلام-، ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾؛ هذه قراءة كثيرين، وقرأ آخرون هل تستطيع ربك، أي هل تستطيع

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٤٩ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٦ .
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١١٢-١١٣ .

أن تسأل ربك ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، والمائدة هي الخوان عليه الطعام، وذكر بعضهم: أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ويتقوون بها على العبادة، ﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؛ أي فأجابهم المسيح-عليه السلام- قائلا لهم: اتقوا الله ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين، قالوا نريد أن نأكل منها أي: نحن محتاجون إلى الأكل منها، وتطمئن قلوبنا إذا شاهدنا نزولها رزقا لنا من السماء، ونعلم أن قد صدقتنا، أي ونزداد إيمانا بك، وعلما برسالتك، ونكون عليها من الشاهدين، أي: ونشهد أنها الآية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به[١].

وهنا بدأ الحوار بين عيسى-عليه السلام- وبين ربه فتوجه اليه بالدعاء، ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [٢]،

قال الإمام الطبري-رحمه الله-: وهذا خبر من الله-تعالى- ذكره، عن نبيه عيسى-عليه السلام- أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء، ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾، فقال بعضهم: معناه: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال آخرون: أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم، وقيل: قالوا: نصلي فيه، نزلت مرتين وقال آخرون: معناه: نأكل منها جميعا[٣].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٢٠٢/٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٤ .

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٢٣/٩.

وقال الإمام البغوي–رحمه الله–: وقيل: إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره وبكى، ثم قال: ﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا** ﴾، أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهانا، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيدا لأنَّهما يعودان كل سنة، وروي أن معناه: نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقيل: نصلي فيه، وقوله: ﴿ **لِّأَوَّلِنَا** ﴾ أي: لأهل زماننا، ﴿ **وَآخِرِنَا** ﴾أي: لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس–رضي الله عنه–: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

قال ابن القيم– رحمه الله–: (فلما ألحوا في الطلب وخاف المسيح أن يداخلهم الشك إن لم يجابوا إلى ما سألوا، بدأ في السؤال باسم ﴿ **اللَّهُمَّ** ﴾، الدال على الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته، ففي ضمن ذلك تصوره بصورة المثني الحامد الذاكر لأسماء ربه، المثني عليه بها، وأن المقصود من هذا الدعاء وقضاء هذه الحاجة إنما هو أن يثني على الرب بذلك، ويمجده به، ويذكر آلاءه، ويظهر شواهد قدرته وربوبيته، ويكون برهانا على صدق رسوله، فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء على الله أمر يحسن معه الطلب، ويكون كالعذر فيه، فأتى بالاسمين: اسم الله الذي يثني عليه به، واسم الرب الذي يدعي ويسأل به لما كان المقام مقام الأمرين، فتأمل هذا السر العجيب، ولا يثب عنه فهمك فإنَّه من الفهم الذي يؤتيه الله من يشاء في كتابه وله الحمد)[1]

(١) بدائع الفوائد، ٢/ ١٩٤.

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾، دلالة وحجة[١]، وفيه بيان معجزة عيسى-عليه السلام-، لقوله: ﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾، وأن ما جاء خلاف المعهود، وكان خارقا للعادة، فهو آية ومعجزة، لأنَّه لم يعهد أن المائدة تنزل من السماء عيانا يشاهدها الناس، فيكون نزولها آية ودليل على صدق من تكلم بالرسالة، والمعجزة تكون إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر[٢].

وقوله: ﴿ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾، قال الإمام الرازي-رحمه الله-: (إن عيسى-عليه السلام- لشدة صفاء دينه وإشراق روحه، لما ذكر الرزق بقوله: ﴿ وَٱرۡزُقۡنَا ﴾، لم يقف عليه بل انتقل من الرزق إلى الرازق، فقال: ﴿ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾، فقوله: ربنا ابتداء منه بذكر الحق سبحانه وتعالى)[٣]

فرزق الله هو الأكمل والأوفى، والرزق بمعنى: العطاء، فالله- جل وعلا- وصف نفسه بصفة الفعل التي هي أنه يرزق خلقه، قال- جل وعلا-: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ، ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ١١٨/٣.
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، ٣/٤.
(٣) مفاتيح الغيب، ٤٦٤/١٢.
(٤) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٧-٥٨ .
(٥) سورة سبأ، من الآية: ٣٩ .

﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [١]،وقال: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ ﴾ [٢]، ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل، مخالف لما وصف به منه المخلوق، كمخالفة ذات الله لذات المخلوق[٣].

وقوله تعالى: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا ﴾، (انتقال من الذات إلى الصفات، وقوله: ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾، إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة، بل من حيث إنها صادرة عن المنعم، وقوله: ﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾، إشارة إلى كون هذه المائدة دليلا لأصحاب النظر والاستدلال، وقوله: ﴿ وَٱرْزُقْنَا ﴾، إشارة إلى حصة النفس، وكل ذلك نزول من حضرة الجلال، فانظر كيف ابتدأ بالأشرف فالأشرف نازلا إلى الأدون فالأدون، ثم قال: وأنت خير الرازقين، وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق، ومن غير الله إلى الله، ومن الأخس إلى الأشرف) [٤]، فأجاب الله-تعالى- القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم، فقال تعالى ذكره:﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾[٥]، (أي: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها)[٦].

وهنا في هذه الآية إثبات صفة العلو وأن ربنا-جل وعلا- يطلب من أعلى، وأن الله فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه، في سمائه، عاليا على خلقه، بائنا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية، ولأن

(١) سورة النساء، من الآية: ٨ .
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٣ .
(٣) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ص٢٠.
(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٤٦٤/١٢.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٥ .
(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣١/٩.

الإنزال يكون من الأعلى إلى الأسفل، فإنزال المائدة وطلب إنزالها، كل ذلك دليل على: أن القوم قد عرفوا أن ربهم في العلو، فهم أعرف بالله، وأعلم به، فالحواريون طلبوا ذلك، وعيسى-عليه السلام- بين لهم ذلك بقوله: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا ﴾، والله بين ذلك أيضا، ولهذا قال: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾، وقد دل على هذا المعنى: آيات كثيرات مصرحة بعلو الله- سبحانه وتعالى- على خلقه، ومن ذلك قول الله-تعالى-: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (٣)، وفي هذا رد على من أنكر علو الله-عز وجل-(٤).

وأيضاً إثبات الكلام أو القول لله-عز وجل-، لقوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾، وقول الله هو كلامه، وإثبات صفة القول وهو والكلام عبارتان عن معنى واحد، قال الله-عز وجل-: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(٦)، وقال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾(٧)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨)، وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٥٤ .
(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١٨ .
(٣) سورة النحل، من الآية: ٥٠ .
(٤) ينظر: إثبات صفة العلو، ص٦٥.
(٥) سورة السجدة، من الآية: ١٣
(٦) سورة ق، الآية: ٢٩
(٧) سورة النساء، من الآية: ١٢٢
(٨) سورة النساء، من الآية: ٨٧

رَّحِيمٍ ﴾[١]، وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [٢]؛ فأثبت الله–جل ثناؤه– لنفسه صفة القول[٣].

وقولـــه تعـــالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، يقول: فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعامكموها منكم رسالتي إليه، وينكر نبوة نبيي عيسى–عليه السلام–، ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته، فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من عالمي زمانه، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [٤]، ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا، فعذبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير[٥].

قال الإمام ابن القيم– رحمه الله–: (إن العذاب يستحق بسببين: أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها، والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، فأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل)[٦].

وفي الآية إثبات أن العذاب له أعلى وله أدنى، لقوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٧]، فهذا دليل على أنَّ العذاب يتفاوت من

(١) سورة يس، الآية: ٥٨

(٢) سورة ص، الآية: ٨٤

(٣) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ٤٨١.

(٤) سورة غافر، من الآية: ٤٦

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣١/٩.

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٤١٤ .

(٧) سورة المائدة، من الآية: ١١٥ .

شخص لآخر، كما أن كفر من رأوا الآيات ليس ككفر من لم يروها، فالأول أعظم أي: من رأى الآيات؛ لأنَّ من رأى الآيات فقد رآها عين اليقين، ومن نقلت إليه فقد علمها علم اليقين أي: بواسطة(١).

المطلب الثاني

نفي اتخاذه وأُمه إلـهين من دون الله

إنَّ الرسل–عليهم الصلاة والسلام–، عباد لله اصطفاهم لحمل رسالته إلى خلقه، مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل، ويعلم أن وظيفتهم التي كلفوا بها هي: دعوة الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والتزام الطاعات، وتجنب المعاصي(٢)، لكن النصارى غلو في عيسى–عليه السلام– بعد ما رفعه الله–عز وجل– إليه، ومدحوه ورفعوه فوق منزلته، حتى عبدوه من دون الله، وادّعوا فيه الربوبية، فطائفة قالت: الله هو المسيح ابن مريم حلّ في بطن مريم، قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(٣)، ﴿ مَرْيَمَ ﴾(٣)، وأخرى قالت: هو ثالث ثلاثة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(٤)، وطائفة ثالثة قالوا: هو ابن الله، تعالى الله الله عما يقولون علوّاً كبيراً: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ (٥) (٦)، (٦)، ومن المعلوم أن الرسل هم بشر من بني الإنسان وليس فيهم شيء من خصائص

(١) ينظر: تفسير سورة المائدة، للعثيمين، ٥٣٩/٢.
(٢) ينظر: الإرشاد إلى توحيد رب العباد، ص٣٤.
(٣) سورة المائدة، من الآية: ٧٢
(٤) سورة المائدة، من الآية: ٧٣
(٥) سورة مريم، الآيتان: ٨٨–٨٩.
(٦) ينظر: الرسل والرسالات، ص٧٧.

الألوهيـة، ومقتضـى كـونهم بشـراً أنهـم ليسـوا بآلهـة، ولـيس فيهم مـن صـفات الألوهيـة شيء، ولذلك فإنّ الرسل يتبرَّؤون من الحول والطول ويعتصمون بالله الواحد الأحد، ولا يَدَّعون شيئاً مـن صـفات الله-تعـالى-، وعيسـى-عليه السلام- يقـول: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (١)، ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢)، ويعـرض لنـا القـرآن محـاورة مـن مشاهد يوم الحشر، يسأل الله فيه المسيح- عليه الصلاة والسلام- عما نسبوه إليه، وافتروه عليه، فيجيب في أدب العبودية متبرئاً مما صنعوا: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣)، قـال الإمـام الـرازي-رحمـه الله-: فـي قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾، فيـه مسـائل: المسـألة الأولـى: هـذا معطـوف علـى قولـه: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾(٤)، وعلى هذا القول فهذا الكلام إنما يذكره لعيسى يوم القيامة، ومنهم من قال: إنه تعالى

(١) سورة مريم، الآيتان: ٣٠-٣١
(٢) سورة المائدة، من الآية: ٧٢
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦-١١٨
(٤) سورة المائدة، من الآية: ١١٠

قال هذا الكلام لعيسى-عليه السلام- حين رفعه إليه وتعلق بظاهر قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾، وإذ تستعمل للماضي، والقول الأول أصح، لأنَّ الله- تعالى- عقيب هذه القصة بقوله:﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[1]، والمراد به يوم القيامة.

المسألة الثانية: في قوله: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، سؤالان: أحدهما: أن الاستفهام كيف يليق بعلام الغيوب، وثانيهما: أنه كان عالما بأن عيسى-عليه السلام- لم يقل ذلك فلم خاطبه به؟ فإن قلتم الغرض منه توبيخ النصارى وتقريعهم فنقول: إن أحدا من النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية عيسى ومريم مع القول بنفي إلهية الله-تعالى- فكيف يجوز أن ينسب هذا القول إليهم مع أن أحدا منهم لم يقل به.

والجواب: عن السؤال الأول أنه استفهام على سبيل الإنكار.

والجواب: عن السؤال الثاني أن الإله هو الخالق والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى-عليه السلام- ومريم، والله-تعالى- ما خلقها البتة، وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله-تعالى- ليس خالقها، فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له، مع أن الله-تعالى- ليس إلها له، فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية[2].

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٩

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٤٦٥/١٢.

فقال عيسى-عليه السلام- بكل توفيق للتأدب في الجواب الكامل: ﴿ **قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ** ﴾[1]، وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيها له عما أضيف إليه، والثاني: خضوعا لعزته وخوفا من سطوته ويقال: إن الله-تعالى- لما قال لعيسى: ﴿ **ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾، أخذته الرعدة من ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه فقال: ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾، ثم قال : ﴿ **مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ** ﴾، أي: أن ادعى لنفسي ما ليس من حقها يعني: أنني مربوب ولست برب وعابد ولست بمعبود، ثم قال: ﴿ **إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ** ﴾[2]، فرد ذلك إلى علمه، وقد كان الله عالما به أنه لم يقله، ولكنه سأله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى إلها، وعلّق ابن القيم على معنى الشرط في قول الله -عز وجل- : ﴿ **إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ** ﴾، فقال-رحمه الله-: (فهذا شرط دخل على ماضي اللفظ، وهو ماضي المعنى قطعاً؛ لأنَّ المسيح إما أن يكون صدر هذا الكلام منه بعد رفعه إلى السماء، أو يكون حكاية ما يقوله يوم القيامة، وعلى التقديرين؛ فإنما تعلق الشرط وجزاؤه بالماضي، وغلط على الله من قال: إن هذا القول وقع منه في الدنيا قبل رفعه، والتقدير: إن أكن أقول هذا فإنك تعلمه، وهذا تحريف للآية؛ لأنَّ هذا الجواب إنما صدر منه بعد سؤال الله له عن ذلك، والله لم يسأله وهو بين أظهر قومه، ولا اتخذوه وأمه إلهين إلا بعد رفعه بمئين من السنين، فلا يجوز تحريف كلام الله انتصاراً لقاعدة نحوية، هدمُ مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآية)[3]

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٦

(٢) سورة المائدة، من الآية: ١١٦

(٣) بدائع الفوائد، ١/٧٨-٧٩

ثم قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[١]، أي: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه، وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد، وقيل: تعلم سري ولا أعلم سرك لأنَّ السر موضعه النفس، وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة، والمعنى في هذه الأقوال متقارب[٢]، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾، يقول: (إنك أنت العالم بخفيات الأمور التي لا يطلع عليها سواك ولا يعلمها غيرك) [٣]، وفي الآية دلائل عقدية مهمة وهي:

العلام: اسم من أسماء الله–تعالى– على وزن (فعال)، وهو صيغة مبالغة، يدل على سعة العلم وعظمته، وقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات، في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [٥]، وقولـه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٦]، وقولـه: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[٧][٨]، ومعناه: (العالم

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٦
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٦/٣٧٥-٣٧٦.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٩/١٣٧.
(٤) سورة المائدة، من الآية: ١٠٩
(٥) سورة المائدة، من الآية: ١١٦
(٦) سورة التوبة، الآية: ٧٨
(٧) سورة سبأ، الآية: ٤٨
(٨) ينظر: مفهوم الأسماء والصفات، ٤٦/٦٠.

بأصناف المعلومات على تفاوتها، فهو يعلم الموجود ويعلم ما هو كائن، وأنه إذا كان كيف يكون، ويعلم ما ليس بكائن، وأنه لو كان كيف يكون) [١].

والعــلام: (بمنزلــة علــيم فــي المبالغــة فــي الوصــف بــالعلم) [٢]، والعلــيم: هــو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٣]، والآدميون–وإن كانوا يوصفون بالعلم– فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو، وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله –سبحانه– علم حقيقة، وكمــال: ﴿قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾[٤]، ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدٗا ﴾[٥] [٦].

ويشتق من أسماء الله (العليم، العالم، العلام)، صفة العلم، ودليلها من الكتاب ما جاء في هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [٨].

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي، ١/ ١٢٥.
(٢) اشتقاق اسماء الله الحسنى، ص٥١.
(٣) سورة لقمان، من الآية: ٢٣
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢
(٥) سورة الجن، الآية: ٢٨
(٦) ينظر: شأن الدعاء، ١/ ٥٧.
(٧) سورة المائدة، من الآية: ١١٦
(٨) سورة لقمان، من الآية: ٢٣

وقوله: ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[١]، والدليل من السنة: حديث الاستخارة: ((**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب...**))[٢]، وعلم الله-تعالى- أزلي، وهو صفة صفة من صفاته الذاتية سبحانه، يقتضي علمه بالظواهر والسرائر، وإحاطته بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فيعلم ما يصلح للعباد، وما يدبرهم عليه، والله العليم سبحانه قد كمل في علمه، يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ويعلم ما في السموات والأرض، وهو تعالى بكل شيء عليم[٣]. قال الإمام أحمد: (إذا قال الرجل: العلم مخلوق؛ فهو كافر، لأنَّه يزعم أن الله لم يكن له علم حتى خلقه) [٤].

وعلمه تعالى من لوازم نفسه المقدسة، وبراهين علمه تعالى ظاهرة مشاهدة في خلقه وشرعه، ومعلوم عند كل عاقل أن الخلق يستلزم الإرادة، ولا بد للإرادة من علم بالمراد؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٥]، والأدلة على وصف الله بالعلم كثيرة، ولا ينكرها إلا ضال أو معاند مكابر[٦]. وذكر عيسى-عليه السلام- أن لله-تعالى- نفس فقال: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، وقد انقسم العلماء إلى قسمين: قسم يقول: أن نفس الله هي ذاته، المتصفة بصفاته، والقسم الآخر يجعلونها من باب الصفات، فمن القائلين هي ذاته، الإمام ابن تيمية- رحمه الله- حيث قال: (ويراد بنفس الشيء

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، ٨١/٨، برقم:٦٣٨٢.

(٣) ينظر: مفهوم الأسماء والصفات، ٤٦/ ٦٠.

(٤) السنة، ١٠٢/١

(٥) سورة الملك، الآية: ١٤

(٦) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ١٠٣/١.

ذاته وعينه؛ كما يقال: رأيت زيدا نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾؟، وفي الحديث الصحيح؛ أنه قال لأم المؤمنين: **((لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضى نفسه، سبحان الله مداد كلماته))**[(١)]، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: **((يقول الله-تعالى-: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ؛ ذكرته في ملأ خير منهم))**[(٢)]؛ فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه، التي هي ذاته، المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ)[(٣)].

والإمام ابن خزيمة[(٤)]- رحمه الله- في كتاب ((التوحيد)) يعد (النفس) صفة لله- عز وجل-، حيث قال في أوله: فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جل وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه، جل ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدما لا نفس

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم،٤/٢٠٩١، برقم:٢٧٢٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله-تعالى-: چ ﯣ ﯤ ﯥ چ، ٩/١٢١، برقم: ٧٤٠٥؛ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله-تعالى-، ٤/٢٠٦١، برقم:٢٦٧٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ٩/٢٩٢-٢٩٣.

(٤) ابن خزيمة: هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، النيسابوري، الشافعي، له تصانيف كثيرة منها: ((كتاب التوحيد))، سمع من محمود بن غيلان، والمروزي، وغيرهم، وحدث عنه: البخاري، ومسلم في غير الصحيحين، وابو حاتم البستي، وخلق كثير، توفي سنة:(٣١١هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ، باب ابن خزيمة، ٢/٢٠٧-٢٠٨.

لـه، وقال الله- جل ذكره-:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١]، فأعلمنا ربنا أن لـه نفسـاً كتـب عليهـا الرحمـة، أي: ليـرحم بهـا مـن عمـل سـوءاً بجهالـة ثـم تـاب مـن بعـده، وقـال الله- جـل ذكـره- لكليمـه موسـى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ [٢]،فثّبـت الله أن لـه نفسـاً اصـطنع لهـا كليمـه موسـى-عليه السلام-، وقـال- جـل وعـلا-: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[٣]، فثّبت الله أيضاً في هذه الآية أن له نفساً، وقال روح الله عيسى بن مريم مخاطباً ربه:﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [٤][٥].

فقـال عيسـى-عليه السلام- لربـه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٦]، قـال الإمام الطبري-رحمه الله- في تفسير الآية: وهذا خبر من الله-تعالى- ذكره عن قول عيسى يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم، وهو أن قلت لهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾، يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾، يقول: فلما قبضتني إليك، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾، يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم، وفي هذا تبيان أن الله-تعالى- إنما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعدما قبضه إليه وتوفاه بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٥٤
(٢) سورة طه، من الآيتان: ٤٠ – ٤١
(٣) سورة آل عمران، من الآيتان: ٣٠,٢٨
(٤) سورة المائدة، من الآية: ١١٦
(٥) ينظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب-عز وجل-، ١١/١.
(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٧

﴿ وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، يقول: وأنت تشهد على كل شيء، لأنَّه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت(١).

دلت الآية على أنَّ الأنبياء، بعد استيفاء أجلهم الدنيوي، ونقلهم إلى البرزخ لا يعلمون أعمال أمتهم، وقد جاء في الصحيح عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: خطب رسول الله-ﷺ- فقال: ((**إنكم محشورون حفاة عراة غرلا**(٢)، **ثم قرأ:** ﴿ **كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ** ﴾(٣)، **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿ **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (٤)) (٥).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣٧/٩.

(٢) الغُرْلُ: (جمع الأغْرَل وهو الأقْلَف، والغُرْلَة: القُلْفة وهي جلدة الصبي التي تقطع في الختان). النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الغين مع الراء:٦٦٨/٣.

(٣) سورة الأنبياء، من الآية: ١٠٤

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ١١٧-١١٨

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله-تعالى-: چ ں ں ڻ ڻ چ، ١٣٩/٤، برقم: ٣٣٤٩.

ودلـت الآيـة علـى اسـمين مـن اسـماء الله-عز وجل- وهمـا الرقيـب والشـهيد، وعلـى صـفة الإماتـة: فالرقيـب اسـم مـن أسـماء الله-تعـالى- دل عليـه قولـه تعـالى فـي هـذا الحـوار: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[١]، وقولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢][٣]، والمراقبـة هـي: التعبـد باسـمه الرقيـب، الحفـيظ، العلـيم، السـميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها، حصلت له المراقبة [٤].

(ورقيب؛ بمعنى: راقب، فهو من صفات ذاته، راجعة إلى العلم والسمع والبصر؛ فإن الله-تعالى- رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل حركة وكلام؛ فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات، تحت رقبته الكليات والجزئيات وجميع الخفيات في الأرضين والسماوات، ولا خفي عنده، بل جميع الموجودات كلها على نمط واحد، في أنها تحت رقبته التي هي من صفته)[٥]. والشهيد أيضاً من أسماء أسماء الله-تعالى-، ودليله من الكتاب: قوله تعالى في هذا الحوار: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٦]،وقولـه تعـالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾[٧]، ودليله من السنة: حديث حجة الوداع، وفيه: ((... **اللهم اشهد!**

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٧
(٢) سورة النساء، الآية: ١
(٣) ينظر: صفات الله-عز وجل-الواردة في الكتاب والسنة، ص١٨٠.
(٤) ينظر: مدارج السالكين، ٢/ ٦٥.
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ١/٤٠١.
(٦) سورة المائدة، من الآية: ١١٧
(٧) سورة الأنعام، من الآية: ١٩

اشهد! فليبلغ الشاهد الغائب...)) [١] والشهيد: الحاضر يقال شهدت الشيء وشهدت به، وأصل قولهم شهدت به من الشهادة التي هي الحضور، واليوم المشهود يوم القيامة لأنَّه معلوم كونه لا محالة فكان معنى الشهيد العالم[٢]، ويرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة فإن الله-عز وجل- عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عما بطن، والشهادة عما ظهر، وهو الذي يشاهد، فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم، والكلام في هذا الاسم يقرب من الكلام في العليم والخبير[٣].

وشهد الله؛ بمعنى: عَلِمَ، وكتب، وقضى، وأظهر، وبيَّن، وحقيقته علم الله، وبيَّن الله؛ لأنَّ الشاهد: هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله قد دل على توحيده بجميع ما خلق، فبين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم، وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره[٤].

والإماتة أو الوفاة صفة فعلية لله-تعالى-، فالمتوفي الله- جل جلاله- وتقدست اسماؤه، نطق به التنزيل فقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٥]، ومعناه معنى المميت، وفي الكلام تقديم وتأخير، المعنى إني رافعك ومتوفيك، وقيل: المراد بالتوفي هنا النوم،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي-ﷺ-: ((لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض))، ٥٠/٩، برقم:٧٠٧٨؛ صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ١٣٠٥/٣، برقم: ١٦٧٩.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، ص٥٣.

(٣) ينظر: المقصد الأسنى، ص١٢٦.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ٤٧/٦.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٥٥

أي: منيمك ورافعك، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[٢]، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن المتوفى والمميت هو الله بالحقيقة، وأن ملك الموت أو الملائكة المأمورين بقبض أرواح الخلق؛ وسائط وأسباب يحدث الله عندها الموت، وهو سبحانه الذي خلق الموت والحياة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾[٣]، فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره[٤].

وفوض عيسى-عليه السلام- أمر العباد إلى الله-عز وجل- فقال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، علم عيسى-عليه السلام- أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم، ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾، أي: إن تعذب من كفر منهم، ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾، الذين علمتهم جاحدين لآياتك، مكذبين لأنبيائك، وأنت العادل في ذلك، فإنَّهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم، ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾، أي: لمن أقلع منهم وآمن، فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، أو عزيز قوي قادر على الثواب، حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب[٥].

وفي الآية دليل على صفة المشيئة، وهي صفة ثابتة لله-عز وجل- في الكتاب والسنة، إلا أنها لم ترد صراحة في هذا الحوار بل جاء ما يدل عليها في قوله تعالى: ﴿ إن

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٦٠
(٢) سورة الزمر، من الآية: ٤٢
(٣) سورة الحج، من الآية: ٦٦
(٤) ينظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ٥٤١/١.
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٢٢٤/٢.

﴿ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، قال ابن كثير- رحمه الله-: (هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله-عز وجل-، فإنَّه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله ندا وصاحبة وولدا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا)[٢].

وورد في الحوار صفات عامة للرسل ولعيسى-عليه السلام- خاصة وهي:

١- بُعْدُ الرسل عن الشرك، لقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** ﴾[٣]، لأنَّ اصل بعثة الرسل من أجل تحقيق التوحيد، وتنزيه الله- تبارك وتعالى- أن يكون له شريك، فعيسى قال: ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾، أي: تنزيهاً لك عن كل ما لا يليق بك، والمقام هنا عن اتخاذ الشريك، فيكون المعنى: تنزيه الله عن كل شريك.

٢- اعتراف عيسى-عليه السلام- بما لا يستحق، لقوله: ﴿ **مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ** ﴾، وهكذا إخوانه من الرسل، فإن النبي-صلى الله عليه وسلم- لما قال رجل: ما شاء الله وشئت؛ فقال له: ((**أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده**)) [٤]، فكل الرسل يعرفون قدر أنفسهم فلا يمكن أن يقروا ما لا يستحقونه.

٣- تأدب الرسل- عليهم الصلاة والسلام- مع ربهم- جل وعلا- فقول عيسى-عليه السلام-: ﴿ **إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ** ﴾[٥]، وإذا كنت علمته فإنَّه صادر عن علم من عندك يارب وعن قضاء وقدر لا يخفى عليك.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٨

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/٢١٠.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ١١٦

(٤) الأدب المفرد، ص٢٧٤، قال: الشيخ الألباني: (صحيح).

(٥) سورة المائدة، من الآية: ١١٦

٤- الرسل مكلفون بالرسالة أمراً من الله، لقوله: ﴿ مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ [١]، وهذا له شواهد في القرآن الكريم مثل قول الله-تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٢]، وعيسى-عليه السلام- أمر أن يبلغ الناس بأنه عبد، والله-تعالى- ربه ورب جميع الناس، لقوله: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾[٣].

٥- أن الرسل- عليهم الصلاة والسلام- شهداء على أمتهم ما داموا فيهم، لقوله: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾[٤]، ومع ذلك هم شهداء على ما يرون أو يسمعون، وليسوا شهداء على غائب لا يرونه ولا يسمعونه، لأنَّ الرسل لا يعلمون الغيب.

٦- تسليم الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- وتفويض الأمر إلى الله، وعيسى-عليه السلام- أحد أولي العزم من الرسل فوض الأمر إلى الله، فقال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾ و﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [٥]، وهكذا يجب علينا أن نفوض الأمر إلى الله-عز وجل- فيما يفعله ولا نعترض عليه، فالله يقول:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [٦]، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾، ﴾، لكمال حكمته وعلمه ووضعه الأشياءَ مواضعها،وأنه ليس في أفعاله خلل ولا فساد يسأل عنه، ﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لأنَّهم عابدون لله-عز وجل-[٧]

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ١١٧
(٢) سورة المائدة، من الآية: ٦٧
(٣) سورة المائدة، من الآية: ١١٧
(٤) سورة المائدة، من الآية: ١١٧
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٨
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣
(٧) ينظر: تفسير سورة المائدة، للعثيمين، ٢/٥٤٠ وما بعدها، من فوائد الآيات: ١١٨,١١٧,١١٦.

المطلب الثالث

أثر حوار عيسى-عليه السلام- على المجتمع المعاصر.

جاء الرسل جميعا بدعوة أقوامهم إلى توحيد الله-تعالى- توحيدا خالصا، يشتمل على الالتزام بما يقتضيه هذا التوحيد بصورة كاملة، إن التوحيد بشموله، وكماله يقتضي من المؤمن أن يتعامل مع الله بما يليق به، فلا بد من اليقين بأنه سبحانه وتعالى له الحكم، والأمر كله بيده، وقدرته شاملة لكل ما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيامة، ومن هذا اليقين يتوجه المؤمن إلى الله بعمله، وقوله، وسلوكه، ويحول حياته كلها إلى عبادة خالصة لرب العالمين، إن العبد الرقيق المملوك لرجل يعيش حياته لسيده، فنشاطه وماله وولده لسيده، ومن إخلاصه لسيده يعيش مطيعا له ظاهرا وباطنا، ويستمر في الامتثال، راضيا، سعيدا(١).

إن بني إسرائيل لم يقابلوا نعمة التوحيد بالشكر والامتنان وإنما قابلوها بالجحود والكفر، وعلى هذا الأساس، أخذ عيسى-عليه السلام- يدعو قومه إلى عبادة الله-تعالى-، ويقارعهم الحجة، ويرفض أي ادعاء أو زيادة ترفع شخصه عن جنس البشرية، أو مقام النبوة، فجاء بكلمة التوحيد خالصة لله- تعالى-، في وضوح وجلاء، ولم يقل مرة واحدة إنه إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أي صله بربه، غير صلة العبودية الخالصة من جانبه، والربوبية المطلقة لله رب العالمين(٢)، فالله واحد لا شريك له، وليس لعيسى مع الله إلا ما لأي رسول مع الله- تعالى-، يقول تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا

(١) ينظر: دعوة الرسل عليهم السلام، ص٣٧٣.

(٢) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، ٢٣٣/١.

﴿ تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [١]، وأي كلام عن بنوة عيسى، ومشاركته لله في الألوهية بأي وجه من الوجوه ليس صحيحا[٢].

وإلى جانب الدعوة إلى التوحيد دعوا إلى نبذ الشرك، فالأنبياء والرسل تحذر من الشرك وتنهى عنه بل رسالاتهم في هذا الأمر العظيم، وإخلاص القلب لله وتوجهه لله وحده هو زبدة الرسالات الإلهية وهو مدار بعثة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾[٣]، فعيسى ومريم أتخذا إلهين من دون الله– جل وعلا–، فكيف أُتخذ عيسى إلها؟ الألوهية غير الربوبية أتخذ معبودا بأن يستغاث به بأن يطلب منه بأن يسأل بأن يدعا، فالذي حصل في هذه الأمة أنهم ما نظروا في كيف صار عيسى عند أتباعه المنحرفين إلها؟ واتخاذ عيسى إلها من جنس اتخاذ الأوثان آلهة، ومن جنس اتخاذ الصالحين آلهة، لأنَّه تعلقٌ بالأرواح واعتقاد أن هؤلاء لهم مقامات عظيمة عند الله– جل وعلا–، وحصل لهم ما يريدون في بعض استغاثاتهم من جهة الجن، فصارت الشبهة في الشرك في هذه الأمة من جنس الشبهة التي أحدثت حصول الشرك من جنس الشبهة عند المشركين فضل المتأخرون بما ضل به الأولون، والقرآن من أولهم إلى آخرهم يرد هذا، وبين ضلال المشركين وبعدهم عن ما يرضي الله– جل جلاله–، وما يحبه سبحانه وتعالى[٤].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧

(٢) ينظر: دعوة الرسل عليهم السلام، ص٤٧٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٦ .

(٤) ينظر: شرح كشف الشبهات، ص٦٥.

وحوار عيسى-عليه السلام- يكشف لنا أثرا مهما عن طبيعة قوم عيسى المستخلصين منهم وهم الحواريون فإذا بينهم وبين أصحاب رسولنا- ﷺ - فرق بعيد، إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى، فآمنوا وأشهدوا عيسى على إسلامهم، ومع هذا فهم بعد ما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة،﴿ **هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ** ﴾[1]، تطمئن بها نفوسهم، ويعلمون منها أنه صدقهم، ويشهدون بها له لمن وراءهم، فأما أصحاب محمد- ﷺ - فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم، لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان، ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك البرهان، ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن، هذا هو الفارق الكبير بين حواريي عيسى-عليه السلام- وحواريي محمد- ﷺ - ذلك مستوى، وهذا مستوى، وهؤلاء مسلمون وأولئك مسلمون، وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون، ولكن تبقى المستويات متباعدة كما أرادها الله[2]، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم[3].

ويستنبط من حوار عيسى-عليه السلام- أنه مع نزول المعجزات يأتي دائما تشديد العذاب لمن يكفر، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[4]، فهذا هو الجد اللائق بجلال الله حتى لا يصبح طلب الخوارق تسلية

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٢
(٢) ينظر: في ظلال القرآن، ٢/ ٩٩٨.
(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ٥/ ٦٩.
(٤) سورة المائدة، من الآية: ١١٥

ولهوا، وحتى لا يمضي الذين يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع! وقد مضت سنة الله من قبل بهلاك من يكذبون بالرسل بعد المعجزة، فأما هنا فإن النص يحتمل أن يكون هذا العذاب في الدنيا، أو أن يكون في الآخرة. أو أن يكون في الدنيا والآخرة[1]، والمعروف عن بني إسرائيل العناد والجحود فشددوا مع انبيائهم فشدد الله عليهم لعلمه بما في قلوبهم.

ونفهم من خلال حوار نبي الله عيسى-عليه السلام- أن النصارى غلو في عيسى وامه، واشركوا بالله في ألوهيته فكفرهم الله-تعالى- فقال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2]، فجاء القرآن الكريم بهذا الحوار ليبين براءة عيسى-عليه السلام- من دعوى النصارى افترائهم وقولهم عليه ما ليس بحق، وأن الله يعلم ما في الصدور، وهو الشهيد والرقيب عليهم، وأنه عبد لله ورسوله بلغ رسالة ربه إلى أن قبضه إليه، فهذه شهادة عيسى-عليه السلام- في القرآن حجة على النصارى باقية إلى أن تقوم الساعة، وتكرر عليهم في الآخرة على رؤوس الخلائق والأشهاد.

(١) ينظر: في ظلال القرآن، ٢/ ١٠٠٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢

خاتمة البحث وأهم النتائج

بعد هذه الرحلة البحثية الممتعة أوشكنا على ركز عصا الترحال، ليستقر بنا المقام مع أبرز النتائج التي توصلنا إليها، فضلا عما تركناه مبثوثا في أثناء العمل وهي ما يأتي:

١-اعتنى القرآن الكريم في بيان الحوار اعتناءً كبيراً، وهذا ما يلحظ من خلال ذكره عمليا وواقعيا في نصوص عديدة منه؛ وذلك لأنَّ الحوار هو وسيلة مهمة من وسائل التواصل مع الآخرين.

٢- إن الحوار وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، فعن طريقه يمكن عرض الإسلام وإقناع الآخرين بقضاياه، وكذا رد شبهات المعاندين وكيد الكائدين.

٣- إذا ما أجرينا استبيانا للمجتمعات البشرية بل وحتى الأفراد، ومدى الالتزام بمنهج الحوار، لوجدنا أن الأمم الملتزمة بالحوار والأفراد، هي أسعد الأمم، والأفراد من أسعد الناس، كونهم جميعا يتبعون منهج الأنبياء-عليهم السلام- في الحوار.

٤- على الرغم من كثرة النصوص القرآنية في موضوع الحوار العقائدي تحديدا إلا إنَّه من الملاحظ أننا لم نجد حوارات لكل الأنبياء، إذ إنَّ القرآن الكريم اقتصر على ذكر نماذج محددة منها وقد عرضناها في بحثنا هذا من خلال حوار نبي الله عيسى-عليه السلام.

٥- الحوار يقوم على إحقاق الحق وإبطال الباطل، فالحوار خيار مهم لتحقيق أهدافنا القائمة لمصلحة بشرية، وهو ركيزة أساس في الدعوة إلى الله-تعالى-، إذ الدعوة في الأساس هي حوار بين الحق والباطل، وبين الإيمان والضلال.

٦- إن الحوار لا يهدف إلى التنازل عن شيء من ثوابتنا العقائدية أو الشرعية، أو المشاركة في الدعوات المغرضة لوحدة الأديان التي تساوي الإسلام بغيره، وخلط الحق بالباطل، ومشاركة الكفار في باطلهم، وقد نهى الله نبيه محمد ﷺعن ذلك فقال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾[1].

٧- على أهل الحق أن يستعدوا دائما لمحاورة أهل الباطل المعاندين بالحجج والبراهين، ليحققوا بذلك الهدف من الحوار، وهو السيطرة البرهانية على عقول المحاورين حتى يقبلوا الحق أو يهزموا أمام الحجة والبرهان، فتضطر عقولهم إلى الخضوع والاستسلام، وإن كابروا وعاندوا.

٨- إنَّ من ثمار حوارات نبي الله عيسى-عليه السلام- أنها ترد الناس إلى العقيدة الصحيحة والتي من خلالها يتبين الطريق الواضح والاستقامة الحقيقية، كما لها خصائص معينة، وهو التشويق الذي يدفع المرء إلى المتابعة لما جرى من تلك المحاورات، وجمالها يكمن في وصف تلك الأحداث، ونلحظ أيضا عنصر الزمان والمكان، وذلك بإلباسهما صورة من الواقعية بتشخيص الأحداث، والبيئة التي جرت فيها المحاورة، وبيان الظرف والمكان وما لها من تأثير مباشر في شخصيات المحاورين.

٩- إنّ أثر الدروس التي تحملها تلك المحاورات الواقعية هي موجهة للناس كافة، وأولهم الدعاة الذين هم ورثة الأنبياء-عليهم السلام-، لأنهم يدركون عبرها مالا يدركه غيرهم.

١٠- كما ركزت حوارات نبي الله عيسى-عليه السلام-على أمور مهمة تخص الإيمان، وهي العبودية لله، وطاعة النبي المرسل منه، والتصديق بالبعث والنشور.

١١- يعقد الإسلام آصرة الأخوة الإيمانية بين أفراده الذين يؤمنون به ويلتقون عليه، فيجعل منهم أمة واحدة، تلتقي على العقيدة والإيمان، دون الالتفات إلى الجنس الذي

---

(١) سورة الكافرون.

ينحدرون منه، أو البلد الذي ينتسبون إليه، أو الزمن الذي يعيشون فيه، أو المصالح المادية التي قد يلتقي عليها بعض الناس.

وآخر دعوانا كأوله؛ أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثَبَتُ المصادر والمراجع

١. **الإتقـــان فـــي علـــوم القـــرآن**، عبـدالرحمن بـن أبـي بكـر، جـلال الـدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢. **إثبات صفة العلو**، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي(ت٦٢٠هـ)، تحقيق : أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٣. **الإحكام في أُصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري(ت٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤. **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥. **الإرشاد إلى توحيد رب العباد**، عبدالرحمن بن حماد آل عمر، دار العاصمة، الرياض ط:٢، ١٤١٢هـ.

٦. **الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي**، حسن عبدالغني أبو غدة، وآخرون، مكتبة الرشيد، الرياض، ط:٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧. **الأسماء والصفات**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي(ت٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣ م.

٨. **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ)، دار الصحابة للتراث، مصر، ط:١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٩. **اشتقاق أسماء الله**، عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت٣٤٠هـ)، تحقيق: عبد رب الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

١٠. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط:١٥، ٢٠٠٢ م.

١١. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٢. **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣. **بناء المجتمع الإسلامي، عبدالله مبارك الفرج**، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت.

١٤. **تذكرة الحفاظ**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٥. **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت:٨١٦ هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٦. **تفسير أسماء الله الحسنى**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(ت٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

١٧. **تفســـير القـــرآن العظـــيم**، أبــو الفــداء إســماعيل بــن عمــر بــن كثيــر الدمشـقي(ت٧٧٤هـ)، تحقيـق: محمـد حسـين شـمس الـدين، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ.

١٨. **تهـذيب اللغـة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

١٩. **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي(ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٠. **ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام** ابن تيمية والحافظ علم الدين البزرالي والحافظ جمال الدين المزي، للحافظ الإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢١. **جامع الأُصول في أحاديث الرسول**، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الجزري ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط:١.

٢٢. **جـامع البيـان فـي تأويـل القـرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م.

٢٣. **الجـامع لأحكـام القـرآن**، أبـو عبـدالله محمـد بـن أحمـد بـن أبـي بكـر بـن فـرح الأنصـاري القرطبـي(ت٦٧١هـ)، تحقيـق: أحمـد البردونـي- إبـراهيم أطفـيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م.

٢٤. **الحوار وآدابه**، صالح بن حميد، دار المنارة، جدة، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٥. **درء التعارض بين العقل والنقل**، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الادبية، الرياض، ١٣٩١هـ.

٢٦. **دراسة في علم الاجتماع الإسلامي**، نبيل السمالوطي، دار ومكتبة الهلال، مصر، ط:١، ٢٠٠٨م.

٢٧. **دراسة المجتمع**، مصطفى الخشاب، المكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٧م.

٢٨. **دعوة الرسل- عليهم السلام-**، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٩. **الرسل والرسالات**، عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط:٤، ١٤١٠هـ/١٩٨٩ م.

٣٠. **السنة**، عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ(ت٢٩٠هـ)، تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط:١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣١. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط - محمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٢. **شأن الدعاء**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي(ت٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط:٣، ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م.

٣٣. **شرح كشف الشبهات**، محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ(ت١٣٨٩هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط:١، ١٤١٩هـ.

٣٤. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي)، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٣٥. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦. **صفات الله-عز وجل- الواردة في الكتاب والسنة**، علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف، الدرر السنية – دار الهجرة، ط:٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦ م.

٣٧. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، دار السلفية، مصر، ط:٢، ١٣٩٤هـ.

٣٨. **في ظلال القرآن**، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت– القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢هـ.

٣٩. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م.

٤٠. **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب-عز وجل-**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة(ت٣١١هـ)، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، دار الرشد، الرياض، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤١. **الكليات** معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(**ت**١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٢. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، لبنان، ط:٣، ١٤١٤هـ.

٤٣. **المجتمع الإسلامي**، محمد أمين المصري، الكويت، دار القلم، ط:٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٤. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية(ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٥. **مختار الصحاح**، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي(ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية- بيروت، صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٦. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٧. **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٨. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط:١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤٩. **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبدالصمد الدارمي، التميمي السمرقندي(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤١٢هـ/٢٠٠٠ م.

٥٠. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٠ هـ.

٥١. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(ت٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م.

٥٢. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٤٢٠ هـ.

٥٣. **مفهوم الأسماء والصفات**، سعد بن عبدالرحمن ندا، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثانية عشر، العدد: ٤٦، ١٤٠٠هـ.

٥٤. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط:١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٥. **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥٦. **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ)، الدار السلفية، الكويت، ط:٤، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.